بسم الله الرحمن الرحيم

هل يصحُّ زيادة "توحيد الذات" قسمًا رابعًا لأقسام التوحيد؟

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده، نبينا محمد ﷺ.

أمَّا بعد:

ظهر هذه الأيام من يقول بتقسيم التوحيد إلىٰ أربعة أقسام: الثلاثة المعروفة، والرابع توحيد الذات.

ولا شكَّ أن التزام ما قاله السلف من هذه التقسيمات هو الأولىٰ والأحرىٰ؛ ولذا أنكر علماؤنا ومشايخُنا علىٰ من زاد قسمًا رابعًا علىٰ أقسام التوحيد الثلاثة، أسماه توحيد الحاكمية.

وسوف أتناول هذه المسألة إنْ شاء الله مِن عدة أوجُهٍ، وهي:

المسألة الأولىٰ:

مَنِ الَّذي أثبت توحيدَ الذات قِسمًا مستقلاً ؟

أثبت الأشاعرة، ومَن تأثر بهم توحيدَ الذات قِسمًا مستقلاً:

١ - نَظَمَ ذلك ابنُ عاشر عفا الله عنه مِن الأشاعرة في: "المرشد المعين" بقوله:

يَجِبُ للهِ الوُجـودُ والقِـــدَمْ كَذَا البَقاءُ والغِنىٰ المُطْلَقُ عَمّْ

وَخَلْقُهُ لِخَلْقِهِ بِـلاَ مِــثالْ وَوَحْدَةُ الذّاتِ وَوَصْفُ الفِعالْ

٢ - الشهرستاني في كتابه "الملل والنِّحل":

قال غفر الله له: وأما التوحيد فقد قال أهلُ السُّنة، وجميعُ الصفاتية:

إن الله تعالىٰ واحد في ذاته لا قسيم له.

وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له.

وواحد في أفعاله لا شريك له.

٣- البيجوري في "شرح جوهرة التوحيد" :

بيَّن البيجوري عفا الله عنه معاني هذه الأقسامِ الثلاثة، فقال:

وحدانية الذات تنفي تركب الذات وتعددها.

ووحدانية الصفات تنفي التعدد في صفات الله من جنس واحد، وتنفي مشابهة صفات الخلق لصفاته.

ووحدانية الأفعال تنفي أن يكون لغير الله فعلٌ مِن الأفعال علىٰ وجه الإيجاد. اهـ

٤- سعيد حوىٰ الإخواني الأشعري المنحرف في كتابه "الأساس في السُّنة وفقهها ":

قال سعيد حوىٰ: ويدخل في التوحيد: توحيد الذات، والصفات، والأفعال. اهـ

وممن قال بهذا التقسيم ممن تأثروا بقول الأشاعرة أبو بكر ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال عفا الله عنه في "قانون التأويل":

"نهج أبو بكر بن العربي في بيان أنواع التوحيد منهج الأشاعرة متأثراً بشيوخه الذين أخذ عنهم مباشرة، **أو عن طريق التتلمذ علىٰ كتبهم**، وقد اقتصر - تبعـًا للمتكلمين - علىٰ ثلاثة معان للتوحيد:

١ - توحيد الذات.

٢ - توحيد الصفات.

٣ – توحيد الأفعال". اهـ

المسألة الثانية:

مَنْ ذكره مِن أهل السنة لم يجعلْه قسيماً للأقسام الثلاثة، وإنما عَنَوا به توحيد الأسماء والصفات:

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه "الرسالة المفيدة" (ص: ٣٩ – ٤٣):

أما التوحيد فهو ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

أما توحيد الربوبية: فهو الذي أقر به الكفار علىٰ زمن رسول الله ﷺ، ولم يدخلهم في الإسلام، وقاتلهم رسول الله ﷺ، واستحل دماءهم وأموالهم، وهو توحيده بفعله تعالىٰ، والدليل قوله تعالىٰ: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُون}، {قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ}. والآيات علىٰ هذا كثيرة جداً أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر.

"وأما الثاني" وهو توحيد الألوهية: فهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه، وهو توحيد الله تعالىٰ بأفعال العباد: كالدعاء، والنذر، والنحر، والرجاء، والخوف، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والإنابة ...

"وأما الثالث" فهو توحيد الذات والأسماء والصفات: [1] قال تعالىٰ: {قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ}، وقال تعالىٰ: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}،وقال تعالىٰ: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}. اهـ

وقال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ عن سورة الإخلاص في "التنبيهات اللطيفة":

كما دلت علىٰ أنواع التوحيد الثلاثة:

توحيد الذات والصفات، وذلك علىٰ سبيل المطابقة.

وعلىٰ توحيد الربوبية، وذلك علىٰ طريق التضمن.

وتوحيد العبادة، بالالتزام.

إذ إن دلالة الشيء علىٰ كل معناه يسمىٰ مطابقة، ودلالته علىٰ بعضه يسمىٰ تضمنا، وعلىٰ ما يلزم من جهة الخارج يسمىٰ التزاماً. اهـ

قال حسين، وعبد الله ابنا الشيخ: محمد بن عبد الوهاب، وحمد بن ناصر بن معمر رحمهم الله في "الدرر السَّنية" (٢/ ١٥٥):

والشأن كل الشأن في معرفة حقيقة التوحيد، الذي بعث الله به رسوله، وبه يكون الرجل مسلماً، مفارقاً للشرك وأهله؛ **وذلك لأن كثيراً من المصنفين إذا ذكر التوحيد لم يبينه، وقد يفسره بتوحيد الربوبية، الذي أقر به المشركون، ومنهم من يفسره: بتوحيد الذات والصفات، وذلك وإن كان حقا، فليس هو المراد من توحيد العبادة، الذي هو معنىٰ: لا إله إلا الله. اهـ**

---

[1] انتبه، بارك الله فيك ، فهذا قسم واحد، وهو توحيد الأسماء والصفات؛ ولذا قال رَحِمَهُ اللهُ: "وأما الثالث" فهو توحيد الذات والأسماء والصفات، وساق ثلاثةَ أدلة من أدلة الصفات.

المسألة الثالثة:

مما يُضْعِفُ هذا القولَ أنَّ بعض السلف يجعل النفسَ صفةً لله تعالىٰ، وليست هي الذات، ومن هؤلاء:

١ – إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه "التوحيد":

"بَابُ ذِكْرِ الْبَيَانِ مِنْ خَبَرِ النَّبِيِّ ﷺ فِي **إِثْبَاتِ النَّفْسِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ** عَلَىٰ مِثْلِ مُوَافَقَةِ التَّنْزِيلِ الَّذِي بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ مَسْطُورٌ، وَفِي الْمَحَارِيبِ وَالْمَسَاجِدِ وَالْبُيُوتِ وَالسِّكَكِ مَقْرُوءٌ"...

وذكر رَحِمَهُ اللَّهُ جملةَ أحاديث في ذلك.

٢ – العلامة عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه "الاقتصاد في الاعتقاد":

صفة النفس [عن الله ورسوله]، وإن نبت عنها أسماع بعض الجاهلين، واستوحشت منها نفوس المعطلين.

ومما نطق بها القرآن، وصح [بها] النقل من الصفات: النفس، قال الله عز وجل إخباراً عن نبيه عيسىٰ عليه السلام أنه قال: {تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ}، وقال عز وجل: {كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}، وقال عز وجل لموسىٰ عليه السلام: {وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي} وروىٰ أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: " يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن اقترب إلي شبراً اقتربت إليه ذراعـًا، وإن اقترب إلي ذراعـًا اقتربت إليه باعـًا، وإن أتاني يمشي، أتيته هرولة ".

وروىٰ أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: " لما خلق الله الخلق كتب في كتاب، فكتبه علىٰ نفسه، فهو موضوع عنده علىٰ العرش: إن رحمتي تغلب غضبي ". اهـ

٣– القاضي أبو يعلىٰ الفرَّاء رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه " إبطال التأويلات لأخبار الصفات " :

إثبات صفة النفس لربنا جل شأنه:

حديث آخر:

٤١٤ - نَاهُ أَبُو القسم بِإِسْنَادِهِ، عَن أنس بْن مالك، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابن آدم إن ذكرتني فِي نفسك ذكرتك فِي نفسي، وإن ذكرتني فِي ملإ ذكرتك فِي ملإ من الملائكة، أو قَالَ: فِي ملإهم خير منهم، وإن دنوت مني شبرا دنوت منك ذراعا، وإن دنوت مني ذراعا دنوت منك باعا، وإن أتيتني تمشي أتيتك هرولة ".

٤١٥ - وَنَاهُ أَيْضًا بِإِسْنَادِهِ، عَن أَبِي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ : " يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: أنا عند ظن عبدي وأنا معه حيث يذكرني، فإن ذكرني فِي نفسه ذكرته فِي نفسي، وإن ذكرني فِي ملإ ذكرته فِي ملإ خير منهم، وإن اقترب إلي شبراً اقتربت إِلَيْهِ ذراعـًا، وإن اقترب إلي ذراعـًا اقتربت إِلَيْهِ باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة ".

٤١٦ - وَنَاهُ أَبُو الْقَاسِمِ قَالَ: نا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُقْرِئُ الْمُعَدَّلُ قَالَ: نا أَحْمَدُ بْنُ سَلْمَانَ بْنِ الْحَسَنِ، نا مُحَمَّدُ بْنُ الْهَيْثَمِ، نا إِسْحَاقُ الْحُنَيْنِيُّ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، وَاللهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِفَلاةٍ مِنَ الأَرْضِ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَىٰ اللهِ ذِرَاعًا تَقَرَّبَ اللهُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَمَنْ جَاءَ يَمْشِي أَقْبَلَ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَيْهِ بِالْخَيْرِ يُهَرْوِلُ ".

اعلم أن الكلام فِي هَذَا الخبر فِي فصول:

أحدها: أن الله تَعَالَىٰ يُوصَفُ بأَنَّ لَهُ نفسـًا.

٤١٧ - وقد أومأ إِلَيْهِ أحمد فيما خرجه فِي الرد عَلَىٰ الجهمية، فَقَالَ: إِذَا أردت أن تعرف أن الجهمي كاذب

عَلَىٰ الله حين زعم أَنَّهُ فِي كل مكان وَلا يكون فِي مكان دون مكان، فقل لَهُ: أليس كان الله وَلا شيء فحين خلق الشيء خلقه فِي نفسه أو خارجا من نفسه؟ فإن قَالَ: خلقه فِي نفسه كفر، وإن قَالَ: خلقه خارجا من نفسه ثُمَّ دخل فيهم كان أَيْضًا كفر، حين دخل فِي مكان وحيز بل وحش، وإن قَالَ: خلقهم خارجا من نفسه ولم يدخل فيهم رجع عَن قوله وَهُوَ قول أهل السنة وهذا من كلام أحمد يدل عَلَىٰ إثبات النفس، لأَنَّهُ جعل ذلك حجة عليهم، ولو لَمْ يعتقد ذلك لَمْ يحتج به، وقد أخبر بذلك فِي آي من كتابه منها قوله تَعَالَىٰ: {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} وقوله تَعَالَىٰ: {تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ} وقوله: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ} وقوله: {وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي} ولأنه ليس فِي إثبات النفس مَا يحيل صفاته وَلا يخرجها عما تستحقه، لأنا لا نثبت نفسا منفوسة مجسمة مركبة ذات روح، وَلا نثبت نفسا بمعنىٰ الدم عَلَىٰ مَا تقوله العرب: لَهُ نفس سائلة وليست لَهُ نفس ويريدون بذلك الدم، لأَنَّ الله سُبْحَانَهُ يتعالىٰ عَن ذلك، بل نثبت نفسا هِيَ صفة زائدة عَلَىٰ الذات، كَمَا أثبت لَهُ حياة ونفسا فقلنا حي بحياة، وباقي ببقاء، وإن لَمْ يكن حياته وبقاءه عرضين كحياتنا وبقائنا، كذلك فِي النفس فإن قِيلَ: فأثبتوا لَهُ روحا لأَنَّهُ قد وصف نفسه بذلك، فَقَالَ تَعَالَىٰ: {وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} قيل: لا نثبت ذلك، لأَنَّ السمع لَمْ يرد بذلك عَلَىٰ وجه الصفة للذات، وقوله: {وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي} المراد به أمره، لقيام الدليل عَلَىٰ أن صفات ذاته لا تحل المحدثات، ويفارق هَذَا إثبات النفس، لأَنَّهُ ليس فِي إثباتها مَا يحيل صفاته وَلا يخرجها عما تستحقه لما ذكرنا فإن قِيلَ: ليس المراد بالنفس ها هنا إثبات صفة، وإنما المراد بذلك الذات، كَمَا تقول العرب: هَذَا نفس الأمر، ويريدون به إثبات الأمر لا أن لَهُ نفسا، وقوله: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ} معناه: عقوبته، وقيل: إياه، وقوله: {تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي} أي فِي غيبي {وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ} أي غيبك، وقيل فِي قوله: {وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ} يرجع إِلَىٰ نفس عِيسَىٰ، وأضاف نفسه إِلَىٰ الله من طريق الملك والخلق، فيكون معناه: لا أعلم مَا فِي ملكك مما خلقته إِلا مَا أعلمتني، وقوله: {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ} معناه: كتب عَلَيْهِ، وقوله: {وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي} معناه: اصطنعتك لذاتي أو لرسالتي، وقول النبي ﷺ : " ذكرته فِي نفسي " معناه:

أخفيت ثوابه كَمَا أخفىٰ ذكري فِي نفسه، وَمِنْهُ قوله تَعَالَىٰ: {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} وقول النبي ﷺ إخبارا عَن الله عَزَّ وَجَلَّ: " أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت، وَلا أذن سمعت وَلا خطر عَلَىٰ قلب بشر " قيل: هَذَا غلط، لأَنَّهُ إن جاز حمل النفس عَلَىٰ الذات جاز حمل الحياة والبقاء عَلَىٰ الذات فيقال: ذات حية ذات باقية، وقد أجمعنا ومثبتو الصفات عَلَىٰ أَنَّهُ حي بحياة وباقي ببقاء، كذلك جاز أَنْ يَكُونَ ذاتا بنفس، ولأن هَذَا يؤدي إِلَىٰ جواز القول بأن الله نفس، وأنه يجوز أن يدعا فيقال: يَا نفس اغفر لنا، وقد أجمعت الأمة عَلَىٰ منع ذلك وأما تأويل قوله تَعَالَىٰ: {وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي} معناه: لذاتي ورسالتي، فلا يصح لأَنَّهُ يسقط فائدة التخصيص بموسىٰ، لأَنَّ غيره من الأنبياء اصطنعه لذاته ورسالته، فوجب أَنْ يَكُونَ لتخصيص النفس ها هنا فائدة وجواب آخر: وَهُوَ أن قوله: {وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي} المراد به الله الَّذِي لَهُ النفس، وكذلك قوله: {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} المراد به الله الَّذِي لَهُ النفس، وكذلك قوله: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ} المراد به الله الَّذِي لَهُ النفس وجواب آخر: وَهُوَ أَنَّهُ لا يصح حمل قوله: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ} عَلَىٰ عقوبته لأَنَّهُ قد قَالَ فِي سياقها: {وَإِلَىٰ اللهِ الْمَصِيرُ} ولو كان عَلَىٰ مَا قالوه لكان تقديره: وإلىٰ عقوبة الله المصير، وَلا يصح أَيْضًا حمل قوله: كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ سورة الأنعام آية بمعنىٰ عَلَيْهِ، لأَنَّ ذلك لا ينفي إثبات النفس صفة لَهُ، فيحصل تقديره، كتب ربكم عَلَيْهِ ذي النفس لأَنَّ النفس صفة لَهُ، ومثل هَذَا قوله تَعَالَىٰ: أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ سورة النساء آية والمراد به بعلمه وذاته، لأَنَّ علمه لا يختص بذلك، وَلا يصح أَيْضًا حمل قوله: وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ سورة المائدة آية عَلَىٰ غيبك لأَنَّ ذلك يسقط فائدة التخصيص، لأَنَّهُ غير عالم بغيب غير الله تَعَالَىٰ، فعلم أن المراد به النفس الَّتِي هِيَ صفة، وكذلك لا يصح حمله لا أعلم مَا فِي ملكك، لأَنَّهُ غير عالم بما فِي ملك غير الله من المخلوقين، فلا فائدة من تخصيصه بالله تَعَالَىٰ، فعلم أن المراد به مَا ذكرنا وأما حملهم النفس عَلَىٰ إخفاء الثواب فلا يصح، لأَنَّهُ لا فائدة فِي إخفاء الثواب، بل الفائدة فِي إظهاره لأَنَّهُ يحصل به الترغيب فِي الطاعات، والحث عليها، ولهذا عدد الجنة وأنهارها وثمارها، كل ذلك حثا عَلَىٰ الترغيب فِي الطاعات، وقوله تَعَالَىٰ: فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ

قُرَّةِ أَعْيُنٍ سورة السجدة آية فإنه لَمْ يخف ذكر الثواب، أَلا ترىٰ أَنَّهُ قَالَ تَعَالَىٰ: مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ سورة السجدة آية فأثبت أن هناك مَا تقر به العين، وإنما أخفىٰ تفصيل الثواب، وهكذا الجواب عَن قول النبي. وسماء الله، وأرض الله الفصل الثاني: ذكر العبد لله تَعَالَىٰ فِي نفسه، معناه بحيث لا يعلمه أحد غيره، وَلا يطلع عَلَيْهِ سواه، قَالَ تَعَالَىٰ: {تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ} أي: تعلم مَا أجنه وما أسره وأضمره، وَلا أعلم لي بما فِي نفسك مما أخفيته عني. اهـ

وقال العلَّامة صديق حسن خان القِنُّوجي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه "قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر":

فصلٌ: ومما نطق بها القرآن، وصح بها النقل من الصفات " النفس " قال تعالىٰ:. . {تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ} [المائدة: ١١٦].

وقال تعالىٰ:. . {كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} [الأنعام: ١٢].

وقال تعالىٰ: {وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي} [طه: ٤١].

وقال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالىٰ: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم». إلىٰ غير ذلك من الأدلة. اهـ

وقال محمد بن حسين الفقيه (المتوفىٰ : ١٣٥٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه "الكَشْف المُبْدِي لتمويه أبي الحسن السُّبكيّ ، تكملة "الصّارم المنكي":

وأمّا الدّليل علىٰ إثبات صفة النّفس: فقوله تعالىٰ: {ويحذّركم الله نفسه} ـ في موضعين ـ ، وقوله ـ تعالىٰ ـ حكاية عن عيسىٰ بن مريم ـ عليه السّلام ـ : {تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك}، وقوله ـ تعالىٰ ـ لموسىٰ ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ : {واصطنعتُك لنفسي}. اهـ

قال الشيخ العلامة محمد أمان الجامي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه " الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه":

الصفة الرابعة عشرة: صفة النفس لله:

ومما يجب إثباته لله تعالىٰ: (النفس) لأن الله أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله عليه الصلاة والسلام، وهي كما يليق بالله تعالىٰ، يقول الله تعالىٰ حكاية عن عيسىٰ عليه السلام {تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ} ١، وقول النفاة بأن ذلك من باب المشاكلة مدفوع بنصوص كثيرة وردت في غير المقابلة منها:

١- قوله تعالىٰ: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ}.

٢- {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}.

٣- {وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي}.

٤- وقوله عليه الصلاة والسلام في ثنائه علىٰ الله: "لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت علىٰ نفسك".

٥- قوله عليه الصلاة والسلام في حديث أبي هريرة، وهو قطعة من الحديث القدسي الطويل: " ... إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي".

وهناك غيرها من النصوص الصريحة.

بهذه الأدلة نثبت لله (النفس) فدعوىٰ المشاكلة في الآية الكريمة {تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ} ، غير واردة، بل باطلة لأن النصوص الأخرىٰ كلها -كما علمت- وردت دون مقابلة أو مشاكلة. وليس هناك ما يدعو إلىٰ التأويل أو التحريف. إذ شأن النفس كشأن الصفات الخبرية الكثيرة التي تقدم الحديث فيها والله أعلم.

وقال الشيخ عبد الله بن حميد رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه "التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية":

وثبت لله عز وجل صفة النفس التي وردت في كتاب الله تعالىٰ، وثبتت في سنة رسوله ﷺ.

قال الله عزَّ وجلَّ -إخبارًا عن نَبِيِّه عيسىٰ عليه السَّلام أنه قال-: {تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ} [المائدة: ١١٦] ، وقال عز وجل {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ} [الأنعام: ٥٤] ، وقال سبحانه وتعالىٰ لموسىٰ عليه السلام: {وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي} [طه: ٤١] ، وقال: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ} [آل عمران: ٢٨].

وروىٰ أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن اقترب إلي شبرا اقتربت إليه ذراعًا، وإن اقترب إلي ذراعًا اقتربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» . رواه مسلم. اهـ

وقال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "التعليق علىٰ الترغيب والترهيب":

اشتهر عند المتأخرين من علماء الكلام -خلافاً للسلف- تأويلُ هذه الصفات المذكورة في هذا الحديث، من (النفس) و (التقرب) و... وما ذلك إلا لضيق عطنهم، وكثرة تأثرهم بشبهات المعتزلة وأمثالهم من أهل الأهواء والبدع، فلا يكاد أحدهم يطرق سمعه هذه الصفات إلا كان السابق إلىٰ قلوبهم أنها كصفات المخلوقات، فيقعون في التشبيه، ثم يفرون منه إلىٰ التأويل ابتغاء التنزيه بزعمهم، ولو أنهم تلقوها حين سماعها مستحضرين قوله تعالىٰ: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} لما ركنوا إلىٰ التأويل، ولآمنوا بحقائقها علىٰ ما يليق به تعالىٰ، شأنهم في ذلك شأنهم في إيمانهم بصفتي السمع والبصر وغيرهما من صفاته عز وجل، مع تنزيهه عن مشابهته للحوادث، لو فعلوا ذلك هنا لاستراحوا وأراحوا، ولنجوا من تناقضهم في إيمانهم بربهم وصفاته. فاللهم هداك. وراجع إن شئت التوسع في هذا كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله تعالىٰ.

إثبات القولين في المسألة: النفس بمعنىٰ الذات، والنفس صفة لله عز وجل.

قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله في "شرح الفتوىٰ الحمْوية":

هذا النقل والكلام فيه ذكر صفة النفس لله جل وعلا، والنفس له سبحانه فسرت بتفسيرين:

الأول: أن النفس بمعنىٰ الذات يعني أنه جل وعلا له ذات؛ لأنه يقال في اللغة النفس بمعنىٰ الذات، كما في قول القائل: جاءني خالد نفسُه؛ يعني ذاته من جهة التأكيد؛ يعني لم يأتِ رسول منه ولم يأت كتاب منه وإنما أتىٰ خالد نفسه يعني بذاته.

وتأتي النفس ويراد بها في المخلوق الروح، الروح كما في أدلة كثيرة منها: قول الرجل في الحديث الصحيح (إِنّ أُمّيَ افْتُلِتَتْ نَفْسَهَا) يعني روحها، {إِنَّ اللهَ اشْتَرَىٰ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ}[التوبة:١١١] يعني أرواحهم، وأشباه ذلك.

وفي صفة الله جل وعلا صفة النفس:

منهم من أهل العلم من قال: النفس بمعنىٰ الذات. يعني من أهل السنة، ومنهم من قال النفس يعني له جل وعلا نفسا خاصة، ونثبت اللفظ ولا نقول هي بمعنىٰ الذات فقط؛ بل نقول له سبحانه وتعالىٰ نفس وهو جل وعلا له ذات ،كما أن له صفات وأفعال والصفات قائمة بالذات.

وقوله جل وعلا: {تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ}[المائدة:١١٦]، هذا ظاهر في إثبات النفس لله جل وعلا كما قال النبي ﷺ «سبحان الله رضا نفسه» وأشباه ذلك.

ومنهم من قال في الآية إن هذه بمعنىٰ الذات لأنه {وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ} هذا يعني ما تعلمه أنت ذاتُك.

لكن بقاء النص علىٰ ظاهره، بدون الدخول في تفسير أحد الاحتمالين أولىٰ، فنقول: إن النفس قد يكون

المراد بها الذات، وقد يراد بها صفة خاصة هي النفس، وقد يكون المراد الاثنين جميعا، وهذا الثالث أولىٰ لأنه ظاهر الكلام لغة، فنقول إذن الأَوْلىٰ أن يقال {تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ} يعني فيها إثبات صفة النفس للذات. اهـ

هذا مع الإشارة إلىٰ أن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وسماحة شيخنا الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفضيلة شيخنا عبد العزيز الراجحي حفظه الله، يرجحون القول بأن النفس هي الذات، وليس المقام مقام البحث في ذلك، وإنما إثبات الخلاف في المسألة.

مع الإشارة أيضـًا إلىٰ أن من أهل العلم من قسَّم التوحيد إلىٰ قسمين:

القسم الأول: توحيد المعرفة والإثبات، ويقصد به توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات.

القسم الثاني: توحيد القصد والطلب، ويقصد به توحيد العبادة.

ولا إشكال في ذلك، فمثل هذا يُقال فيه : لا مشاحَّة في الاصطلاح، بخلاف ما ذُكرَ مِن جعلِ توحيدِ الذات قسمـًا رابعـًا لأقسام التوحيد.